الجريدة وكيف تقرأ

بعد الانتهاء من المدرسة أو الجامعة يواجه الشباب مجتمعا قد يبعث فيه الجد أو يبعث فيه التوانى . فهو إما شارع ناشط إلى مواصلة الرقى الثقافى ، وإما منته منه راكد عنه . والثقافة خارج المدرسة أو الجامعة تتعدد وتتفاوت فى قيمتها . فأقلها قيمة ولكن أكثرها عددا فى الوقت الحاضر هو الدار السينمائية التى تتجه بقوة نحو اللهو بل اللهو السخيف ، فى حين كان يجب أن يكون الفلم من أقوى أسباب التعليم والتثقيف .

وتليها محطة الاذاعة . وهذه بما لها من احتكار وبما تجد من معاونة حكومية كان يجب أن تكون وسيلة للتنوير الممتع . ثم تلى ذلك الجريدة اليومية وسائر الصحف الدورية . وأخيرا وهو أكبرها قيمة وأقلها عددا الكتاب .

وتمتاز الجريدة اليومية بان لها قوة غرس المادة . فهى من هذه الناحية تشبه الشاى أو القهوة بحيث يحس معتادها قلقا وضجرا إذا تأخرت عن ميعادها . وهى تمس الشئون العامة التى يجرى عنها الحديث مع الأصدقاء والمعارف . والرجل الذى لا يقرأ الجريدة تنقطع الصلة بينه وبين الحوادث العامة . وأقل النتائج لهذا الانقطاع غباوة وجهل يبدوان عليه فى الحديث وأخطرها الجهل بالتطور العالمى وركود الذهن وانكماش الشخصية . وفى "مجتمع" البيت تجد الجريدة أعظم فرصها للتنوير إذا قصدت إلى الخدمة العامة . فإن أعضاء هذا المجتمع الصغير يجدون فيها الموضوعات المختلفة لسمرهم بل لحوارهم ومناقشتهم . وهم يستنيرون بأخبارها وتعليقاتها وصورها . والبيت الآن هو الهدف الذى تقصد اليه الجريدة فى العالم المتمدن حين تكتب ، وهو الذى تتحرى رضاه وتحاول إشباع أعضائه كل فيما يهوى . فان لربة البيت صفحة أو بعض الصفحة التى تحتوى ألوانا من المعارف عن صحتها وجمالها وعن تدبير البيت والمطبخ وتربية الأطفال ومعاملة الزوج . وللأطفال كذلك صفحتهم التى يجدون فيها علما مشوبا بلهو . وكذلك الشأن فى معالجة السياسة والتجارة والتعليم والزراعة . بل أحيانا الفلسفة والاجتماع . فان الجريدة تحاول أن تكون مدرسة عامة ، وماهى شاملا يجد فيه كل انسان المعارف المغرية وأخبار الساعة . ولكنها تخاطب البيت قبل أى هيئة أخرى . ومما يدل على هذا الاتجاه بعض المكافآت التى تقدمها للقراء ، فانها كلها تقريبا مما تحتاج اليه ربة البيت أو مما تهتم له ربة البيت فى اقتصادياتها المنزلية .

والصحافة والمجتمع يتبادلان التفاعل . فاذا كان المثل القائل " كما تكونون تكون صحافتكم "صحيحا فانه يمكن أن يقال أيضا " كما تكون صحافتكم يكون مجتمعكم " لأن الصحيفة هى قبل كل شيء من الأعمال التى يجب أن تنظر إلى الربح . وقد تكون لها رسالة . ولكن هذه الرسالة ، إن لم يكن خلفها ما يؤيدها من حزب قوى أو جماعة مضحية ، لا تستطيع فى الأغلب أن تجعل الجريدة أو المجلة تعيش بدون الاعتماد على الأساليب التجارية فى الوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء والحصول على أكبر عدد ممكن من الاعلانات . فاذا كان القراء فى مستوى منخفض فان الصحيفة لن تروج بينهم إلا اذا هبطت إلى هذا المستوى. وإذا كان للمرأة شأن عظيم بين قراء الجريدة فانها أى الصحيفة تهتم بشئونها كما نرى فى جميع الصحف الأوربية والامريكية تقريبا . فاذا رأيت أن الرواج يصادف بعض المجلات التى تعنى بالقيل والقال فلا تلم هذه المجلة وحدها ، لأنها إنما تجرى فيما تكتب مايطلبه جمهورها. فإن أفراد هذا الجمهور يتسامرون و يتحدثون بالقيل والقال ، وهم لهذا السبب يشترون المجلة التى تسايرهم فى هذه النزعة و يقاطعون المجلة التى لا تزودهم بها . وقد رأت الحكومات حتى الديمقراطية — أن تصد التيارات السيئة فى الصحافة . فسنت القوانين فى بريطانيا مثلا لمنع الجرائد من نشر التفاصيل الخاصة بقضايا الطلاق كما وضعت العقوبات الرادعة للقذف. و بذلك تهذبت اللغة وخلت من الألفاظ النابية . ولهذا أثره لا فى سعادة المجتمع الذى أمن أفراده الفضائح ، بل أيضا فى أخلاق الجمهور الذى يتعلم ألفاظ الحديث من لغة الجرائد .

ويجب أن تكون الجرائد حرة فى التعبير عن آرائها حتى يثق بها الجمهور وحتى يجد فيها الرأى الناضج مكانه الذى لا يمليه غير الذهن الحر . ولكن النظام الاقتصادى الذى يجعل الصحافة تجارة حرة خاضعة للمزاحمة يحيلها فى كل وقت تقريبا إلى الخضوع التام بل الأعمى للإعلانات التجارية والمؤسسات التجارية الكبرى . فلا تنتظر مثلا من الجريدة التى تعتمد فى نفقاتها على ما يرد اليها من اعلانات تتصل بالأدوية المستحضرة أو بشركات التأمين أو الملاحة أو غير ذلك أن تتحدث عن خداع الجمهور بالأدوية المستحضرة أو عن ضياع أمواله فى بعض شركات التأمين الزائفة أو غيرها . فيجب على القارئ أن يذكر على الدوام هذه الحال وهو يقدر الحرية المزعومة عند الصحف عامة . ولسنا نقول هذا لكى نوجه اللوم إلى الصحف ، إذ هى لا يسعها أن تكون غير ذلك ، وإنما لكى ننبه القارئ إلى بعض النقائص للصحافة حتى يستطيع أن يقرأ أحيانا ما بين السطور وأن يتعرف إلى الخبر الغائب الذى حذف من الصحيفة كما يتعرف إلى الخبر الوارد فيها .

وقد كانت الصحافة منذ نشأتها قسمين : أحدهما صحافة الرأى والآخر صحافة الخبر . ولا يزال هذا الانفصال واضحا فى فرنسا حيث لا تزال جريدة الرأى ، التى يتولاها فى العادة

رجل نابه الذكر تصدر فى أربع أو ست صفحات لا أكثر . كما نرى مثلا فى جريدة بو بيلير أو الأكسيون فرانسيز . أما فى بريطانيا العظمى فلا تكاد توجد جريدة يومية للرأى فقط . فان الجرائد هناك الأسبوعية والشهرية تقوم بترويد القراء بالآراء الناضجة فى التعليق على الحوادث والأخبار . ويكتب فى هذه المجلات أكبر الساسة وأعظم العلماء والأدباء .

ولسنا نحتاج الى أن نذكر أننا نعيش فى عصر الدعاية وأن لبعض الدول وزارات خاصة بالدعاية فيجب أن نحرص على أن نقرأ فى تدبر وأن نعرف أن الرأى والخبر معا عرضة للدعاية سواء من الحكومات أو من الأحزاب . ولذلك يحسن بكل قارئ ألا يقتصر على قراءة جريدة معينة بل عليه — اذا استطاع — أن يقرأ جريدة أخرى معارضة بل جريدة فى لغة أجنبية وأن يوازن بين الواحدة والأخرى .

ويحسن بقارئ الجريدة لكى ينتفع بالقراءة أن يتعلم القراءة السريعة حتى لاتستغرق الجريدة معظم وقته . وذلك بأن يمرن نفسه على ألا ينطق بالكلمات ، وهو يقرأ لأن تحريك الشفتين أثناء القراءة معطل . والقراءة السريعة هى القراءة التى تجرى فى صمت تام ، لا يتحرك فيها اللسان .

والمألوف أننا نقرأ فى الجريدة أبوابا تعودناها ولا نكاد ننظر الى غيرها . ولكن من وقت لآخر يجب أن ننظر فى هذا الذى أهملناه وأن نتعلمه . فاننا بذلك نستطيع مثلا أن نقدر التيارات أو التطورات السياسية بقراءة الصفحة المالية لعلاقة المال بالسياسة . وهذا هو الشأن فى الصفحات الأخرى المهملة .

ويجب ألا ننسى أن الجريدة لم تجعل للتوجيه وانما جعلت للتنبيه . فلنأخذ منها معارفنا وأخبارنا ولكن يجب أن نفهمها على الوجه السديد الذى يمليه علينا الرأى الناضج والمناقشة النيرة مع زملائنا .

وفى هذه الأيام القلقة والعالم ملتهب بالحرب بل بالحروب . يجب أن يقتنى كل منا أطلسا جغرافيا يرجع اليه من وقت لآخر . كما أنه يجب اقتناء تقويم الحكومة المصرية لكى نستخدمه فى مثل هذا الغرض بشأن أحوالنا الداخلية .

ولعل من المستحسن أن تقرأ الجريدة فى البيت . لا فى القهوة أو النادى . حتى يشترك أفراد الأسرة فى درسها وأن يجعلوا من موضوعاتها وأخبارها سمرا مفيدا .

واذا لم يكن من الميسور جمع أعداد الجريدة فلا أقل من أن يقص كل منا الخبر أو المقال الذى يمتاز بمغزاه ويلصقه بدفتر يعدّ لذلك أو أن يجمعه فى حافظة خاصة ويرتب هذه القصاصات أبوابا . فإن هذا العمل يجعله يقرأ بعناية ويفتح أمام ذهنه آفاقا جديدة من الاهتمام المنير .